

أضواء البيان

@ 72 @ دُونِهِ ءَالِهَةٌ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لَا نَفْسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا زُشُورًا { وهذا غاية العجز . كما ضرب لذلك المثل بقوله : { إِنَّ السَّاعِدِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ } فهم حقاً لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولو بقدر الذبابة ؟ وهكذا ترى صفة الخلق المتصف بها سبحانه وتعالى أعظم دليل على وحدانية الله تعالى ، وهي متضمنة صفة التصوير والعلم لأن لكل مخلوق صورة تخصه ؟ ولا يكون ذلك إلا عن علم بالغيب والشهادة ، كما تقدم . .

وهكذا أيضاً كان هذا الدليل أقوى الأدلة على البعث ، كما قال تعالى : { أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَزَّيَّاً خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } إلى آخر السورة . .

وكذلك في قوله تعالى صريحاً في ذلك ونصاً عليه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْوَعْدِ فَإِنَّ خَلْقَ الْبَشَرِ لَشَيْءٌ مُّبِينٌ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ تُمْسُ مِّنْ مُّضْغَةٍ مَّخْلُوقَةٍ لِّنَّبِيِّنَ لَكُمُ الْوَعْدُ فِي الْآخِرَةِ مِمَّا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُتَمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْآخِرَ رُضَ الْهَامِدَةِ فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَالِيَهَا السَّاءِ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنَبِّئُكَ مِنْ كُلِّ رُوحٍ بِهِيْجٍ { ثم قال تعالى : { ذَالِكُمْ بِأَنَّهُ لَلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَالِي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ } . .

ثم بين تعالى أن جاحد هذا الدليل إنما هو مكابر جاهل ، ضال مضل ، وذلك في قوله بعده مباشرة : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا

كِتَابٍ مِّنْ ذِيكَ ثَانِيٍّ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا
خِزْيٌ وَنُذْرِيْقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
يَدَاكَ وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِطََّالٍ لِّلْعَبِيدِ . .

ومن هنا كان أول نداء في المصحف يوجه إلى الناس جميعاً بعبادة الله كان لاستحقاقه
عبادته وحده ، لأنه متصف بصفة الخلق كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا
رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَسْرَ رُضَ فِرَاشاً